من الموت إلى الحياة

لنا في إنجيل اليوم صورة شاب ميت ابن أرملة يقيمه السيد. يلتقي السيد الجنازة خارج السوق، والقوم قد وصلوا الى المقابر، ومع هذا لا يُسلّم المسيحُ للموت، لا يُسلّم لنهائية الموت، ويأمر الفتى أن يقوم، ويدفعه الى أُمه.

سيّد الحياة والموت يستطيع أن يُقيمنا في اليوم الأخير، وهو يقيمنا دوما. تبدأ القيامة اليوم في القلب البشريّ حسبما أجاب السيد أُخت لعازر لما قالت ان أخاها سيقوم في اليوم الأخير، قال لها: »انا القيامة والحياة«. معنى ذلك أن من كان للمسيح يتجاوز كل ترضيض وكل تكسير يُحدثهما الموت فينا والخطيئة. ليس الموت سوى تجمّع خطايا، اذا تكدست طوال العمر وفعلت في هذا الجسد. النفس والجسد واحد. انهما متماسكان حتى الموت. وينهار الجسد، ينهار بعد أن ورث من الطبيعة فسادها ومن الكون زواله ومن النفس كل تقهقر فيها. تتوافر هذه الاشياء لتحجب الجسد الى حين، لتجعله في الرحمة، حتى اذا انقضت الرحمانية كاملة في اليوم الأخير نُبعث الى الحياة الجديدة التي لنا في المسيح يسوع.

الإيمان من شروطه أن يُحسّ الانسان بأنه معرّض للكسر بالنهاية، انه وحده لا شيء، وان الله كل شيء. الانسان الذي يتبجّح ويحسب انه شيء قد أضاع الإيمان. والانسان الذي يحسب انه لا يستطيع النهوض بعد سقطة هو ايضًا أضاع الرجاء. ولكن الانسان الذي يعرف بآن معًا أنه معرّض للسقوط وقابل للنهوض من بعد سقوطه هو المؤمن الراسخ.

إنجيل اليوم يعطي هذا حجمًا كبيرًا اذ يضعُنا أمام شاب ميت زالت كل حياته منه، وأمام مخلّص حيّ هو كل الحياة. واذا اجتمع الحيّ مع الميت، يحيا الميت من جديد، يحيا مع الحيّ.

انعكاس هذا في حياتنا شرَحَه الرسول بولس في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس لمّا قال أن لنا هذا الكنز، اي كنز النعمة، في آنية خزفية، في آنية من فخّار هشة تُكسر ليكون فضلُ القوة لله لا للناس. كنز النعمة في آنية من فخار تُكسر ثم يجمع الله القطع بعضها الى بعض حتى يدرك الانسان انه كان لا شيء وانه أصبح بالله شيئا.

ترجمة هذا في حياتنا اليومية ترجمة صعبة ولكنها منقذة. ليس صحيحًا أن الناس يعرفون أنهم خطأة. خبرتي الكهنوتية دلّتني أن المسيحيين لا يعرفون حقاً أنهم خطأة. يقولونها كلمة، لفظة عندما يقولون: نحن خطأة. معظم المسيحيين يحسبون انهم صالحون. ولكن من استطاع أن يعرف انه في كل يوم يزني، في عينيه او أُذنيه او في قلبه يزني، فهذا على طريق القداسة. من استطاع ان يعترف أن تعامُله مع الآخرين في العمل وفي المجتمع، فيه سرقة واحتيال، هذا بدأ سر الموت والقيامة. أن نشعر بأننا خطأة وأن نرى أمامنا يسوع شافيا لكل مرض، ان نجثو أمامه، وأن نؤمن بأنه قادر أن يعطي وبأننا قادرون ان نُشفى الآن، وأن نبقى عارفين أن هذا الإناء الفخاريّ يبقى خزفا هشًا، وانه معرّض للسقوط من جديد. وأن نعرف ايضًا أن الفضل لله لا لنا. هذا هو إيماننا. نحن أُناس من فخّار، والله هو إله العطاء والمحبة. الله يجمع الفخّار ويجبله من جديد بالحب الذي عند الفخّاريّ الكبير.

شاب نايين هو كل واحد منا، يقيمه الرب يسوع من الموت ويُسلّمه الى أُمّه الكنيسة كي يفرح فيها وتفرح هي به. هكذا نحيا منبثقين من قلب الفجر في نور المسيح.

جاورجيوس

مطران جبيل والبترون وما يليهما (جبل لبنان)